﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ٤﴾ [النّحل: 4]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

العلاقةُ بين خَلْق السّماواتِ والأرضِ، وخَلْقِ الإنسانِ الكَنودِ

لـمّا كانَ خَلْقُ السّماواتِ والأرضِ غَيْبًا لتَقَدُّمِه، وكانَ خَلقُ الإنْسانِ على هَذِهِ الصِّفَةِ شَهادَةً، مَعَ كَونِه أدلَّ على ذلكَ مِن حيثُ إنَّهُ أشْرفُ مِنْ كُلِّ ما يَعْبدُهُ مِنْ دونِ اللّه، ولَنْ يكونَ الرَّبُّ أدْنى مِنَ العبدِ أصْلًا، قال مُعَلِّلًا: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾: أصْلُهُ (أنس)، والهمزَةُ والنّونُ والسّينُ أصلٌ واحدٌ، وهو ظُهورُ الشَّيءِ، وكُلُّ شيءٍ خالفَ طَريقَةَ التَّوحُّشِ، وقالوا: الإنْسُ خِلافُ الجِنِّ، وسُمّوا بذلك لِظُهورِهِم، يُقالُ: آنسْتُ الشَّيءَ، إذا رأيتُهُ، قال اللّهُ تعالى: ﴿فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا﴾ [النّساء: 6]، والأُنْسُ: أُنْسُ الإنسانِ بالشَّيءِ، إذا لم يَسْتوحِشْ مِنْهُ، والعربُ تقولُ: كيفَ ابْنُ إنْسِكَ؟ إذا سَألَهُ عن نفْسِه، ويُقالُ: إنْسانٌ وإنْسانانِ وأناسِيّ[2]، والإنْسانُ: قيلَ: سُمّيَ بذلكَ لأنَّهُ خُلِقَ خِلقَةً لا قَوامَ لَهُ فيها إلّا بأُنْسِ بعضِهِم ببَعْضٍ، ولهذا قيل: الإنسانُ مَدنيٌّ بالطَّبعِ، مِن حيثُ لا قَوامَ لبَعضِهِم إلّا ببَعْضٍ، ولا يُمكِنُه أنْ يقومَ بجميعِ أسبابِهِ، وقيلَ: سُمّيَ بذلكَ لأنَّهُ يأنَسُ بكُلِّ ما يَألَفُهُ؟ وقيلَ: هو إفعلان، وأصلُهُ: إنسيان، سُمّيَ بذلكَ لأنَّهُ عَهِدَ اللّهُ إلَيْهِ فنَسيَ[3]، ولَفْظُ إنسانٍ هو فعْلانُ مِنْ (أنس)، والألِفُ والنّونُ في آخرِهِ زائدتان، لا يجوزُ فيه غيرُ هذا البَتَّةَ؛ إذ ليسَ في كلامِهِم: أنْسَنَ، حَتّى يكونَ (إنسان) إفْعالًا مِنْهُ،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 106.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أنس).
(3) الرّاغب، المفردات: (أنس).

ولا يجوزُ أنْ يكونَ الألفُ والنّونُ في أوّلِهِ زائدتين؛ إذ ليسَ في كلامِهم: انْفَعَلَ، فيَتَعَيَّنُ أنّهُ فِعلان مِنَ الأُنْسِ، ولَوْ كانَ مُشْتَقًّا مِن نَسِيَ؛ لكانَ نِسْيانًا لا إنْسانًا[1]، والّذي جاءَ في القرآنِ مِن التّركيب هو (إيناسُ) النّارِ والرُّشْدِ، و(الاسْتِئناسِ)، و(الإنْس) مُقابِلُ الجنِّ، والنِّسْبَةُ إليْهِ، و(الإنسانُ)، وجمعُهُ: (أناسِيّ)، و(النّاسُ): المعتمَدُ أنّهُ اسمُ جَمع للإنْسانِ، كقومٍ ورَهْطٍ[2].

2) ﴿نُّطْفَةٍ﴾: أصلُها (نطف)، والنّونُ والطّاءُ والفاءُ أصْلانِ؛ أحَدُهُما: جِنْسٌ مِنَ الحَلْيِ، والآخَرُ: نُدوَّةٌ وبَلَلٌ، ثُمَّ يُسْتَعارُ ويُتَوسَّعُ فيهِ، فالأوَّلُ: النَّطَفُ، يُقالُ: هو اللُّؤْلُؤُ الواحِدَةُ نَطَفَةٌ، ويُقالُ: بَلِ النَّطَفُ: القِرَطَةُ، والأصْلُ الآخَرُ النُّطْفَةُ: الماءُ الصّافي، ولَيْلَةٌ نَطوفٌ: مَطَرَتْ حَتّى الصَّباحِ، والنِّطافُ: العَرَقُ. ثُمَّ يُسْتَعارُ هذا فيُقالُ: النَّطَفُ: التَّلَطُّخُ، ولا يَكادُ يُقالُ إلّا في القَبيحِ والعَيْبِ، ويُقالُ: نَطِفٌ، أيْ: مَعيبٌ، ونَطِفَ الشَّيْءُ: فسَدَ[3]، والنُّطْفَةُ والنَّطافَةُ: القليلُ مِنَ الماءِ يَبْقى في القِرْبَةِ، وبِهِ سُمّي المَنيّ نُطفةً، وفي التَّنْزيل العزيز: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ [القيامة: 37]، ولم تَأْتِ في القُرآنِ الكَريمِ مِنْ هذا التَّرْكيبِ إلّا كَلِمَةُ (نُطْفَةٍ) بِهذا المعْنى، وهو المعْنى المقْصودُ في الآيَةِ[4].

3) ﴿خَصِيمٌ﴾: فعيلٌ مِنْ (خَصَم)، والخاءُ والصّادُ والميمُ أصْلانِ؛ أحَدُهُما: المُنازَعَةُ، والثّاني: جانِبُ وِعاءٍ، فالأوَّلُ الخَصْمُ الّذي يُخاصِمُ، والذَّكَرُ والأُنْثى فيهِ سَواءٌ، والخِصامُ: مَصْدَرُ خاصَمْتُهُ مُخاصَمَةً وخِصامًا، وقَدْ يُجْمَعُ الجَمعُ عَلَى خُصوم، والأصْلُ الثّاني: الخُصْمُ جانِبُ العِدْلِ الّذي فيهِ العُرْوَةُ، ويُقالُ: إنَّ جانِبَ كُلِّ شَيْءٍ خُصْمٌ، وأخْصامُ العَيْنِ: ما ضُمَّتْ عَلَيْهِ الأشْفارُ، ويُمكِنُ أنْ يُجْمَعَ بَيْنَ الأصْلَيْنِ فيُرَدَّ إلى مَعْنى واحِدٍ؛ وذَلِكَ أنَّ جانِبَ العِدْلِ مائِلٌ إلى أحَدِ الشِّقَّيْنِ، والخَصْمُ المُنازِعُ في جانِبٍ، فالأصْلُ واحِدٌ[5]، والتَّخاصُم لا يَكونُ إلّا مَذْمومًا، ولم يَرِدْ في القرآنِ الكريمِ سِوى لِلدّلالَةِ على الاخْتِلافِ المُفْضي إلى التّنازُعِ فقَطْ، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ [النساء: 105]، ومِنهُ الخَصيمُ

(1) ابن القيّم، التفسير القيّم، ص: 681.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (أنس).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نطف).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (نطف).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خصم).

في هذهِ الآيةِ، فهو مخاصِمٌ لربِّهِ، مُنْكِرٌ على خالقِهِ، قائلٌ: ﴿مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨﴾ [يس: 78]، أو هو منطيقٌ مُجادِلٌ عَنْ نَفْسِهِ، مُكافِحٌ للخُصومِ باللَّدَدِ والجَدَلِ والسَّفسَطَةِ، وما إلى ذَلكَ مِن ضُروبِ الوقاحَةِ والشِّرَّة[1].

4) ﴿مُّبِينٞ﴾: بانَ الحَقُّ يَبينُ بَيانًا فهو بائنٌ، وأبانَ يُبينُ إبانَةً فهو مُبينٌ، بِمَعْنَى الظُّهورِ، والباءُ والياءُ والنّونُ أَصْلٌ واحِدٌ وهو بُعْدُ الشّيْءِ وانْكِشافُهُ، فالبَيْنُ: الفِراقُ، يُقالُ: بانَ يَبينُ بَيْنًا وبَيْنونَةً، والبَيونُ: البِئْرُ البَعيدَةُ القَعْرِ، والبَيْنُ: قِطْعَةٌ مِنَ الأَرْضِ قَدْرُ مَدِّ البَصَرِ[2]، ومِنْهُ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿حمٓ ١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢﴾ [الزّخرف: 1 - 2]، أيْ: والكِتابِ البيِّنِ، وقيلَ: مَعْنَى المُبينِ: الّذي أبانَ طُرُقَ الهُدى مِنْ طُرُقِ الضّلالَةِ، وأبانَ كُلَّ ما تَحْتاجُ إلَيْهِ الأُمَّة[3]، وقَدْ جاءَتْ كُلُّ مُفْرداتِ التَّركيبِ القرآنيَّةِ - عَدا الظَّرفِ (بَيْنَ) - مِنْ مَعْنى الوُضوحِ والظُّهورِ، وبانَ الشَّيءُ: اتَّضَحَ فهو بَيِّنٌ (كسَيِّدٍ)، والبَيانُ: ما بُيِّنَ بِهِ الشَّيءُ، مِن الدّلالَةِ وغَيْرِها: ﴿قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ﴾ [آل عمران: 118][4]، فيَكونُ معنى (المبين) صِفَةً للإنْسانِ في هَذِهِ الآيةِ بِمَعْنى: الموضِّحِ عَمّا في نَفسِه بالجَدَلِ والحُجَجِ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

جُـزْأةُ الإنْسانِ عَـلى ربِّـهِ، بنسْيانِ أصْلِهِ، ونكران إحسانه الفيّاض

خَلقَ اللّهُ الإنسانَ مِن ماءٍ مَهينٍ، فإذا بِهِ يَقْوى ويَغترُّ، فيُصْبِحُ شَديدَ الخُصومَةِ والجِدالِ لِرَبِّهِ في إنْكارِ البَعْثِ، وغَيْرِ ذَلِكَ، كَقَوْلِهِ: ﴿مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨﴾ [يس: 78]، ونَسيَ اللّهَ الّذي خَلَقَهُ مِنَ العَدَمِ[5].

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 5/ 269.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بين).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (بين).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (بون، بين).
(5) نخبة منَ العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 267.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بَلاغةُ فصلِ جُملَةِ ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ عمّا قبلها:

اختصاصُ الله تعالى بالخلق، والاستدلال بالمعلوم بعد الاستدلال بالمشاهد

وردَ قولُهُ تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ﴾ مَفْصولًا عَنْ قَوْلِهِ في الآيَةِ السّابِقَةِ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾؛ لأنَّهُ استئنافٌ بَيانيٌّ، ناشِئٌ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾؛ لأنَّهُم إذا سَمِعوا ذَلِكَ تَرَقَّبوا دَليلَ تَنْزيهِ اللّه عَنْ أنْ يَكونَ لَهُ شُرَكاءُ، فابْتُدِئَ بِالدّلالَةِ عَلَى اخْتِصاصِهِ بِالخَلْقِ والتَّقْديرِ، وذَلِكَ دَليلٌ عَلَى أنَّ ما يُخْلَقُ لا يوصَفُ بِالإلَهيَّةِ.

وهو استِدْلالٌ آخَرُ على انفرادِهِ تَعالى بالإلَهيَّةِ ووحْدانيَّتِه فيها، وذَلكَ أنَّهُ بَعْدَ أن استَدَلَّ عليهم بخَلْقِ العَوالِمِ العُليا والسُّفلى، وهي مُشاهدَةٌ لديهم؛ انْتَقَلَ إلى الاسْتِدْلالِ عَلَيْهِم بخَلْقِ أنفُسِهم المعلومِ لهُم، وأيْضًا لـمّا استدَلَّ على وحْدانيَّته بخَلْقِ أعْظَمِ الأشياءِ المعْلومَةِ لَهُم، اسْتَدَلَّ عَلَيْهِم أيْضًا بخَلْقِ أعْجَبِ الأشْياءِ للمُتَأمِّلِ، وهو الإنْسانِ في طَرَفَيْ أطْوارِهِ مِنْ كونِهِ نُطفَةً مَهينَةً، إلى كَوْنِهِ عاقِلًا فصيحًا مُبينًا بِمَقاصِدِهِ وعُلومِهِ[1].

بَلاغةُ اسْتِعمالِ الماضي ﴿خَلَقَ﴾:

الدَّلالَةُ على مَبْدَأِ خَلْقِ الإنْسانِ، واسْتِمرارِ نَسْلِهِ مع الزّمان

وردَ الفعلُ ﴿خَلَقَ﴾ في قَولِه تَعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ﴾ بِصيغَةِ الماضي للإخْبارِ بِأنَّ خَلْقَ الإنْسانِ مُتقدِّمٌ بعدَ خَلْقِ السّماواتِ والأرْضِ، وذَلِكَ أنَّ الإخبارَ عَنِ الشّيْءِ بِصيغَةِ الماضي يَقْتَضي كَوْنَ المُخْبَرِ عَنْهُ مُتَقَدِّمًا على ذَلِكَ الإخْبارِ[2]، والإخْبارُ كَذلكَ بصيغَةِ الماضي مُضَمَّنُهُ الدَّوامُ والاسْتِمرارُ[3]، فالخالِقُ ﷻ ابتدَأَ خَلْقَ الإنْسانِ الأوَّلِ آدَمَ مِنْ طينٍ، ويخلقُ سُبْحانَهُ ما يشاءُ مِن

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 102.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 2/ 283.
(3) الثّعالبيّ، الجواهر الحسان: 5/ 377.

بني آدمَ من ماءٍ مَهينٍ، وفي الحديث: "يا أبا هُرَيْرَةَ، إنَّ اللّهَ خلقَ السَّماواتِ والأرضَ وما بينَهُما في ستَّةِ أيّامٍ، ثمَّ استوى علَى العَرشِ يومَ السّابعِ، وخلقَ التُّربةَ يومَ السَّبتِ، والجبالَ يومَ الأحَدِ، والشَّجرَ يومَ الاثنَينِ، والشَّرَّ يومَ الثُّلاثاءِ، والنّورَ يومَ الأربعاءِ، والدَّوابَّ يومَ الخَميسِ، وآدمَ يومَ الجمُعةِ في آخرِ ساعةٍ مِنَ النَّهارِ بعدَ العصرِ، خَلقَه من أديمِ الأرضِ بأحمرِها وأسودِها، وطيِّبِها وخبيثِها، من أجلِ ذلكَ جعلَ اللّهُ من آدمَ الطَّيِّبَ والخَبيثَ"[1].

سِرُّ استِتارِ فاعِلِ ﴿خَلَقَ﴾:

اعْـترافُ الكُفّارِ بـأنَّ الـلـه هو الخالقُ للأشْياءِ كُلِّها

في قَولِه تَعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ ورَدَ فاعلُ الفِعْلِ ﴿خَلَقَ﴾ مُسْتَترًا؛ لدلالَةِ السّياقِ عَلَيه، فكُلُّ ما سَبَقَهُ مِنْ كلامٍ ابتداءً من قَوْلِه: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾، هو عَنِ اللّه ﷻ، وكَذَلِكَ فإنَّهُ مِنَ المقَرَّرِ في النَّحْوِ، أنَّ الفاعِلَ إذا كانَ مَعْلومًا جازَ عدمُ ذِكرِه، وفي البلاغة إذا كان كذلك فإنه يَحْسُن عدمُ ذِكْره، بحيث يكون إضمارُه مقدّمًا على ذِكْره، ولا يُقَدَّم الذِّكْر على الإضمار في هذه الحالة إلّا لتحقيق فائدةٍ أعلى مِن فائدة الإضمار، وكَوْنُ الخالِقِ هو اللّه ﷻ أمرٌ مَعلومٌ حَتّى عِنْدَ الكُفّارِ، قالَ تَعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت: 61]، فالمشْركونَ كانوا يَعْترفونَ بأنَّ اللّه هو الخالقُ للأشْياءِ كُلِّها، ومَعَ هذا يَعْبُدونَ مَعَهُ غَيْرَهُ.

دَلالَةُ ابتداءِ الآيَتَيْنِ بِفِعل: ﴿خَلَقَ﴾:

الخَـلْـقُ أعـظَـمُ الأدِلَّـــــةِ عـلـى الانفِرادِ بالإلهيَّةِ والوحدانيَّة

ابْتَدَأ قَولُهُ تَعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾، وقَولُهُ تَعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ بِفِعلِ ﴿خَلَقَ﴾؛ لأنَّ الخَلْقَ أعظَمُ الأدِلَّةِ على انفرادِ الخالقِ ﷻ بالإلَهيَّةِ ووحْدانيَّتِه فيها، وقَدْ تَكَرَّرَ الاستِدْلالُ على وحْدانيَّةِ اللّه ﷻ بالخَلْقِ في مَواضِعَ كثيرَةٍ مِنَ القُرآنِ؛ إفْحامًا

(1) أخرجه النّسائيّ في السّنن الكبرى، برقم: (11392).

لِلمُشركينَ، وتَنْبيهًا عَلى عَظَمَتِهِ، وأنَّهُ لا تَنْبَغي العِبادَةُ إلّا لَهُ دونَ ما سِواهُ مِنَ الأوْثانِ، الَّتي لا تَخْلُقُ شَيْئًا بَلْ هُم يُخْلَقون: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان: 11]، ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النّحل: 17].

دلالةُ (أل) في لفظ ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾:

تَعريفُ الجِنْسِ يَقتَضي العُمومَ، وهو مِن فصيح البيان

وردَ لَفْظُ ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ مُعَرَّفًا بأداةِ التَّعريفِ (أل)، الدّالَّةِ على تَعريفِ الجِنْسِ المقتَضي للعُمومِ، أيْ: خَلَقَ الجِنْسَ المعلومَ الّذي تَدْعونَهُ بالإنْسانِ.

وقَدْ ذُكِرَ للاعْتِبارِ بِخَلْقِ الإنْسانِ ثلاثةُ اعْتِباراتٍ: جِنْسُهُ المعْلومُ بماهيَّتِهِ وخَواصِّهِ مِنَ الحيوانيَّةِ والنّاطقيَّةِ وحُسْنِ القَوامِ وبَقيَّةِ أحوالِ كونِهِ، ومَبْدَأُ خَلْقِهِ وهو النُّطفَةُ الّتي هيَ أمهَنُ شَيْءٍ نَشَأَ مِنْها أشْرَفُ نَوْعٍ، ومُنْتَهى ما شَرَّفَهُ بِهِ وهو العَقْلُ[1].

سِرّ استعمالِ حَرْفِ الجَرِّ ﴿مِن﴾:

ابتداءُ خَلْقِ الإنسانِ خَلْقًا بَديعًا مِنْ نُطفَةٍ مَهينة

وردَ في قولِهِ تَعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ لَفْظُ ﴿نُّطْفَةٍ﴾ مَجْرورًا بِحَرْفِ الجرِّ ﴿مِن﴾ الدّالِّ على ابتداءِ خَلْقِ الإنسانِ خَلْقًا بَديعًا مِنْ نُطفَةٍ، فيَصيرُ إلى خَصائِصِ نَوْعِهِ، وأكْرِمِ بنوعِ الإنسانِ تَفْكيرًا ومَقْدِرةً وعَمَلًا، فاسْتَحَقّ التَّكْريمَ بقوله تعالى: ﴿۞وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: 70].

دَلالَةُ تَنْكيرِ لفظ ﴿نُّطْفَةٍ﴾:

تحقيرُ أصلِ بدايةِ خلقِ الإنسان

تنكير لفظ ﴿نُّطْفَةٍ﴾ للتّحقير كما في قوله تعالى: ﴿مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [عبس 18 - 19][2]، وبقرينة قولِهِ تعالى: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾، على معنى هذا الإنسان الذي خَلقَه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 102.
(2) السّامرائيّ، معاني النّحو: 1/ 41.

اللّهُ مِن نطفة حقيرة، يتكبّر على ربّه، فلا يُؤمِن به، ويخاصمُه خِصامًا مُبينًا.

تَوجيهُ المتَشابِه اللَّفْظيّ:

أطـــوارُ خَـلْـقِ الإنْـــســـانِ ومُـنـاسَـبَـتُـهـا للسّياقِ القُرآني

ورد الحديثُ عن خَلْق الإنسان في مواقع شتّى مِن سور القرآن، عبّرت عنه الآياتُ التّالية: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [النّحل: 4]، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الحجر: 26]، ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾ [الرّحمن: 14]، ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾﴾ [العلق: 2]. ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: 37].

أمّا آيةُ النَّحلِ فقد ورَدَتْ لإبرازِ المفارَقَةِ بينَ ما يكونُ عليه الإنسانُ عندَ الخلقِ، وما يكونُ عليْهِ بعدَهُ خاصّةً حينَ يبلُغُ أُشُدَّهُ، فلَمّا كانَتْ حالَتُهُ عنْدَ بُلوغِ الأشُدِّ أنّه خصيمٌ مبينٌ، أي: شديدُ الخُصومَةِ مَعَ اللّه، شديدُ البيانِ؛ لذلِكَ ناسَبَهُ بيانُ أنَّهُ حينَ خُلِقَ لا حِسَّ بِهِ ولا حركةً اختياريَّةً عِندَهُ بوجْهٍ؛ لأنّهُ خُلِقَ مِن ماءٍ صافٍ، وهو ماءُ الرَّجُلِ، أيْ: مِنْ نُطفَةٍ، فناسَبَهُ قولُهُ: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾.

وأمّا آيةُ العَلَقِ: فيَسبِقُها قولُهُ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾ [العلق: 1]، فلَمّا كانَ الرَّسول ﷺ لا يَستطيعُ القِراءَةَ، ويَتَعَلَّقُ بِمَنْ يُعلِّمُهُ القِراءَةَ، فأرشَدَهُ ربُّهُ إلى مَنْ يَتَعَلَّقُ بِهِ وهو اللّه؛ ناسَبَهُ أن تَكونَ مادَّةُ الخلْقِ ممّا يَشْتَدُّ تَعَلُّقُها بما تَمَسُّهُ، أي: مِنْ دَمٍ رَطْبٍ يَعْلَقُ بما يَمُرُّ عَلَيْهِ لِرُطوبَتِهِ، بقوله: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾﴾ [العلق: 2].

وكَذلكَ آيةُ الحِجْرِ: يَسْبِقُها قَولُهُ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحجر: 25]، فلَمّا كانَ الحَشْرُ جَمعَ الخَلْقِ إلى مَكانٍ بحيثُ يَكونونَ مُهَيَّئينَ للثَّوابِ والعِقابِ؛ ناسَبَهُ أنْ تَكونَ مادَّةُ الخَلْقِ مُهَيَّأةً لِعَمَلِ ما يُرادُ مِنْها، أي: طينًا أسْودَ مُنْتِنًا اشْتَدَّ يُبْسُهُ غَيْرَ مَطْبوخٍ، له عِنْدَ النَّقْرِ صَلْصَلَةٌ، مَصْبوبًا مُهَيَّئًا لِعَمَلِ ما يُرادُ مِنْهُ

بالدَّلْكِ والتَّحسينِ مِنَ الذَّهابِ والاضْطِرابِ، على طَبْعٍ وطَريقَةٍ مُسْتَوِيَةٍ، وكُلُّ ذلكَ على غايَةِ السُّهولَةِ والطَّواعيَةِ، فقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الحجر: 26].

وأمّا آيةُ الرّحمنِ: فقَدْ وردَتْ في سياقِ ذِكْرِ عَظيمِ الآلاءِ الدّالّةِ على عَظيمِ قُدْرَةِ اللّه وإحْسانِهِ للإنْسانِ، فناسَبَهُ أنْ تكونَ مادَّةُ الخَلْقِ قَدْ بلغتْ غايَةَ التَّخليقِ، بأن صارَ الطّينُ يابسًا في غايَةِ الصَّلابةِ، فصارَ كالخَزَفِ المَصْنوعِ المَشْويِّ الّذي إذا نُقِرَ عليْهِ كانَ لهُ صوْتٌ، بقوله: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾ [الرّحمن: 14].

وأمّا قَوْلُهُ تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: 37] فقَدْ رويَ أنَّ مَعناهُ خُلِقَ مِنْ طينٍ[1]، والعَجَلُ بمعْنى الطّينِ قَدْ حُكيَ منْ كلامِ العَرَبِ، رواهُ أبو عُمَرَ عنْ أبي العبّاس، ونُقِلَ عنِ ابْنِ الأعْرابيّ، وهو صَحيحٌ، ولَكِنَّهُ لا يَصِحُّ تَفْسيرُ هذه الآيَةِ بِهِ، ولا يَليقُ بالمعْنى المُرادِ منَ الآيَةِ، وجُمهورُ العُلَماءِ على أنَّ مَعناهُ: أنَّهُ رُكِّبَ عَلى العَجَلَةِ فخُلِقَ عَجولًا، كَما قال اللّه تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ [الرّوم: 54]، أي: خُلِقَ الإنْسانُ ضَعيفًا[2].

دلالةُ التَّركيبِ ﴿فَإِذَا﴾ وأثرُها في السّياق:

المفاجأةُ والتَّفريعُ أشَدُّ ما يعبَّرُ به عَنِ السُّرعَةِ

وردَ في قولِهِ تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ استعمالُ لفْظِ ﴿فَإِذَا﴾ المُركَّبِ منَ (الفاءِ) و(إذا)، فأمّا هَذِهِ الفاءُ فتُسَمّى (فاءَ التَّفْريعِ)، وهيَ تُفيدُ أنَّ الكَلامَ بَعْدَها مُتَرَتِّبٌ على الكَلامِ الذي قَبْلَها، فصَيْرورَةُ الإنْسانِ خَصيمًا مُبينًا مُفَرَّعٌ ومُتَرَتِّبٌ عَنْ خَلْقِهِ نُطْفَةً، وأمّا (إذا) فهيَ لِلمُفاجَأةِ، أي: الحُصولِ دونَ تَأْخيرٍ، فحَصَلَ تَأكيدُ مَعْنى التَّفْريعِ الّذي أفادَتْهُ الفاءُ، والعَطْفُ

(1) الواحديّ، التّفسير البسيط: 15/ 77.
(2) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 11/ 288.

بالفاءِ لِتحْقيقِ ذلكَ المعْنى الّذي أفادَتْهُ (إذا)؛ لِأنَّ الجَمعَ بَيْنَ المفاجَأةِ والتَّفريعِ أشَدُّ ما يُعبَّرُ به عَنِ السُّرعَةِ مَعَ إيجازِ اللَّفْظِ[1].

بَلاغَةُ المَجازِ المُرسل:

تَسْميَةُ الشَّيءِ باعتِبارِ ما يَؤول إلـيـهِ مَـهْـيَـعٌ مَطْروقٌ

ورَدَ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ مَجازٌ مُرْسَلٌ، وهو في قولِهِ: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾؛ لِأنَّ الفاءَ تَدُلُّ عَلى التَّعقيبِ، وكونِهِ خَصيمًا مُبينًا لا يكونُ عَقِبَ خَلْقِهِ مِنْ نُطفةٍ، ولَكِنَّهُ إشارَةٌ إلى ما تؤولُ إليهِ حالُهُ، فهو مجازٌ مُرسَلٌ، والعلاقَةُ اعتبارُ ما سَيكونُ، كقوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: 36] أيْ: عِنَبًا يَؤولُ إلى الخَمرِ[2].

دلالَةُ الجُملَةِ الاسْميَّةِ:

خُـصـومَـةُ الإنْسانِ وجِدالُهُ طَبعٌ راسِخٌ فيه

ورَدَ في قوله تَعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ اسْتِعْمالُ الجُملَةِ الاسْميَّة ﴿هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾؛ لِدَلالَتِها عَلى الاسْتِقْرارِ والثّبوتِ، بِخِلافِ الجُملَةِ الفِعْليَّة، وقَدْ قَرَّرَ العُلَماءُ أنَّ مَوْضوعَ الاسْمِ عَلى أنْ يَثْبُتَ بِهِ المعْنى لِلشَّيْءِ مِنْ غَيْرِ أنْ يَقْتَضيَ تَجَدُّدَهُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ، وأمّا الفِعْلُ فمَوْضوعُهُ على أنَّهُ يَقْتَضي تَجَدُّدَ المعْنى المُثْبَتِ بِهِ شَيْئًا بَعْدَ شَيءٍ[3]، فخُصومَةُ الإنْسانِ وجِدالُهُ صِفَةٌ ثابِتَةٌ لَهُ، لا محيدَ لَهُ عَنْها.

بَلاغَةُ صيغَةِ المبالَغَةِ:

مُبالَغَةُ الإنْسانِ في الـخُـصـومَـةِ والـجِـدال، طبعٌ له في كلّ حال

ورَدَ في قولِهِ تَعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ لَفْظُ ﴿خَصِيمٌ﴾ على وزْنِ (فَعيل)، الّذي وهو مِنْ أوْزانِ المبالَغَةِ لاسْمِ الفاعِلِ؛ للدّلالَةِ عَلى تَكْثيرِ صُدورِ الفِعْلِ مِنْهُ، وكَوْنُ الإنْسانِ شَديدَ الخُصومَةِ فيهِ مَعْنَيانِ؛ أحَدُهما: أنّهُ خَصيمٌ لِرَبِّهِ،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 72.
(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 5/ 274.
(3) الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، ص: 174.

مُنْكِرٌ على خالِقِه، قائِلٌ: ﴿مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨﴾ [يس: 78]، والثّاني: فإذا هو مِنْطيقٌ مُجادِلٌ عَنْ نَفْسِهِ، مُكافِحٌ لِلخُصوم باللَّدَدِ والجَدَلِ والسَّفْسَطَةِ، وما إلى ذَلِكَ مِنْ ضُروبِ الوقاحَةِ والشِّرَّة[1].

نُكْتَةُ التّعْبيرِ بِلَفْظِ ﴿مُّبِينٞ﴾:

تَفْضيلُ الإنْسانِ بالفَصاحَةِ والبَيانِ

وردَ في قولِهِ تَعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ﴾ وصْفُ الإنْسانِ بأنَّهُ ﴿مُّبِينٞ﴾، والمقصودُ مِنْ هَذا الوصْفِ: أنَّهُ مُتَكَلِّمٌ مُفْصِحٌ عمّا في ضَميرِهِ ومُرادِهِ، بالحَقِّ أوْ بالباطِلِ، والمَنْطِقِ بأنواعِ الحُجَّةِ حتّى السّفْسَطَةِ، والمقْصودُ: جِدالُهُ في إثْباتِ الشُّركاءِ، وإبْطالِ الوحْدانيَّةِ، وتَكْذيبِ مَنْ يَدْعونَ إلى التَّوحيدِ[2].

تَوْجيهُ المُتَشابِهِ اللَّفْظيِّ:

تَذْكيرُ الإنْسانِ بمَنْشَئِهِ، وذَمُّهُ على جُرْأتِهِ عَلى رَبِّهِ

وردَ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ﴾، ووردَ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ٧٧﴾ [يس: 77]، فتَشابَهَتِ الآيَتانِ في ذِكْرِ مَنْشَأ الإنْسانِ مِنْ ماءٍ ضَعيفٍ، وهيَ النُّطْفَةُ، وكَيْفَ يصيرُ بعدَ ذَلكَ مُجادِلًا فصيحًا، غَيْرَ أنَّ سياقَ آيةِ النَّحلِ يَخْتَلِفُ عَنْ سياقِ آيةِ يس، في أنَّ آيةَ النَّحلِ سُبِقَتْ بآياتِ الاسْتِدلالِ عَلى وُجودِ الإلهِ الحكيمِ الخبيرِ، فذَكَرَ قَبْلَها خَلْقَ السّماواتِ والأرضِ بقولِهِ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾، ثُمَّ أتْبَعَها بِذِكْرِ الاستِدْلالِ عَلى هَذا المطْلوبِ بالإنْسانِ، أي: الاسْتِدْلالِ بأحوالِ نَفْسِهِ عَلى وُجودِ الصّانِعِ الحَكيمِ[3]، ثُمَّ خَلْقِ الأنْعامِ على سَبيلِ التَّدَنّي مِنَ الأعْلى إلى الأدْنى.

أمّا آيةُ سورة يس: فسياقُها العِتابُ والذَّمُّ لِلإنسانِ بِنِسْيانِ أصْلِهِ المَهينِ، ليَتَجَرّأ بعد ذلكَ عَلى خالِقِهِ الكَريمِ ﷻ، ودَليلُ ذَلكَ ما رويَ

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 5/ 269.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 102.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 19/ 172.

في سَبَبِ نُزولها: أنَّ أُبَيَّ بنَ خَلَفٍ أتى النّبيَّ ﷺ بعَظْمٍ رَميمٍ، وقالَ: يا مُحَمَّدُ! أتَرَى اللّهَ يُحيي هذا بعدَما قَدْ رَمَّ؟! فقالَ النَّبيُّ ﷺ: "نَعَم، ويُدْخِلُكَ النّارَ"(1)، فاتَّضَحَ بهذا: الفَرْقُ بَيْنَ سياقَي الآيتَيْنِ، والغَرَضُ مِنْ كُلٍّ مِنْهُما.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

خَلَقَ وجَعَلَ:

المعنى يتنقّل بين عُمومِ الجَعْلِ، وخُصوصيَّةِ الخَلْقِ

يَظْهَرُ الفَرقُ بينَ لفظِ الخَلْقِ ولفظِ الجَعْلِ، في كَوْنِ الجَعْلِ في اللُّغَةِ: التَّهيئَةَ والصُّنْعَ، وتَصييرَ الشَّيءِ مِنْ حالةٍ إلى حالةٍ، أمّا الخَلْقُ في اللُّغَةِ: فهو تَقْديرُ الأشْياءِ وإيجادُها على مثالٍ لم يُسْبَقْ إلَيْهِ(2)، فاسْتَخْدَمَ القرآنُ الفعلَ (خَلَقَ) في الآياتِ الّتي تتحَدَّثُ عَنْ بدايَةِ خَلْقِ آدمَ عليه السلام، وخَلْقِ حَوّاءَ مِنْ ضِلْعِهِ، فناسَبَ فيها استِخْدامُ لَفْظِ (الخَلْقِ)؛ للدَّلالَةِ على الأوَّليَّةِ المقْصودَةِ.

وأمّا الفِعْلُ (جَعَلَ) فيَرِدُ في السّياقِ القُرْآنيِّ في مَعْنًى آخَرَ غَيْرِ مَعْنى الأوَّليَّةِ والبِدايَةِ، فكَثيرًا ما يُستعمَلُ بمعنى صَيَّرَ وهَيَّأَ، ولَعَلَّ الفارقَ الدّلاليَّ في الاستِخْدامِ القُرْآنيِّ للفِعْلَيْنِ (جَعَلَ، وخَلَقَ) يَتَّضِحُ بِجَلاءٍ تامٍّ في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: 1]، فعَبَّرَ عن ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ بلفظِ ﴿خَلَقَ﴾؛ لأنّ السّماواتِ والأرضَ أجْرامٌ تحتاجُ إلى التَّقْديرِ والإيجادِ ابتداءً، وعَبَّرَ عَنِ ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ بلَفْظِ ﴿وَجَعَلَ﴾؛ لأنَّ الظُّلُماتِ والنّورَ مخلوقاتٌ مِنْ شَيْءٍ آخَرَ، إذْ هما تَبَعٌ للسّماواتِ والأرضِ، فناسَبَ ذَلِكَ التَّعبيرُ بالفِعْلِ (جَعَلَ) الدّالِّ على التَّهْيئَةِ وإنْشاءِ شَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ سابقٍ.

(1) الواحديّ، أسباب النزول، ص: 158.
(2) الرّاغب، المفردات: (خلق).

يَقولُ الزَّمخشَريُّ: "والفَرْقُ بَيْنَ الخلقِ والجعلِ: أنَّ الخَلْقَ فيهِ مَعْنى التَّقديرِ، وفي الجَعْلِ معنى التَّضْمينِ، كإنشاءِ شَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ، أوْ نَقْلِهِ مِنْ مَكانٍ إلى مَكانٍ"[1].

وبِناءً على النَّظرِ في الاستخدامِ القُرآنيِّ لِكَلِمَتَيْ (جَعَلَ، وخَلَقَ)، يَظْهَرُ اشتراكُهُما في مَعْنى إحْداثِ الشَّيءِ، غَيْرَ أنَّ المَلْمَحَ الدّلالِيَّ المُمَيِّزَ لِكَلِمَةِ (خَلَقَ) هو: التَّقْديرُ والأوَّليَّةُ، في حينِ أنَّ المَلْمَحَ الدّلالِيَّ المُمَيِّزَ لِكَلِمَةِ (جَعَلَ) هو: التَّضْمينُ والتَّهْيِئَةُ[2].

الإنسانُ والمَرْءُ:

المُـروءَةُ شيمَةٌ مِـن شـيَـمِ الإنْسانِ الكَريم

يَتَّضِحُ الفَرْقُ بينَ الإنسانِ والمَرءِ في أصْلِ اشتقاقِ كُلِّ لَفْظٍ مِنْهما، فلَفْظُ الإنْسانِ في أصلِ اشتقاقِهِ أقوالٌ، فقيلَ: سُمّيَ بذلكَ؛ لِأنَّهُ خُلِقَ خِلْقَةً لا قَوامَ لَهُ إلّا بِأُنْسِ بَعْضِهِم بِبَعْضٍ، ولهَذا قيلَ: الإنْسانُ مَدَنيٌّ بالطَّبْعِ، مِنْ حيثُ لا قَوامَ لِبَعْضِهِم إلّا بِبَعضٍ، ولا يُمكِنُهُ أنْ يَقومَ بجميعِ أسبابِهِ. وقيلَ: سُمّيَ بذلكَ؛ لِأنَّهُ يَأْنَسُ بِكُلِّ ما يَأْلَفُهُ، وقيلَ: هو إفعلان، وأصْلُهُ: إنْسيان، سُمّيَ بذلكَ؛ لِأنَّهُ عَهِدَ اللّهُ إليهِ فنَسيَ[3]، ورُجِّحَ أنَّهُ فِعْلان، مِنَ الأُنْسِ، ولَوْ كان مُشْتَقًّا مِنْ نَسيَ لكانَ نِسْيانًا لا إنْسانًا[4].

أمّا المَرْءُ فهو مُشتَقٌّ مِنْ صِفَةِ المُروءَةِ، والمُروءَةُ: كمالُ المَرْءِ، كما أنَّ الرُّجولَةَ كَمالُ الرَّجُلِ[5]، فيَكونُ بهذا بَيْنَ لَفْظِ (إنْسانٍ) ولَفْظِ (مَرْءٍ) عُمومٌ وخُصوصٌ، فلَفْظُ (إنسانٍ) أعَمُّ مُطْلَقًا مِنْ لفظِ (مَرْءٍ)؛ إذ لا يُطلَقُ عليه هذا الوصْفُ في الأصْلِ إلّا إذا تَحَلّى بالمُروءَةِ، وإنْ كانَ الاستِعْمالُ لا يَشْتَرِطُ ذلكَ.

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 311.
(2) محمّد داود، معجم الفروق الدّلالية في القرآن الكريم، ص: 184.
(3) الرّاغب، المفردات: (أنس).
(4) ابن القيّم، التفسير القيّم، ص: 681.
(5) الرّاغب، المفردات: (مرأ).

النُّطْفَة والمَنِيّ:

المَنِيُّ مِنَ التَّقْدِيرِ، والنُّطْفَةُ داخِلَةٌ في الخَلْقِ

يَظهَرُ الفَرقُ بينَ اللّفظَينِ في المعْنى اللُّغَويِّ لكُلِّ لفظٍ مِنْهُما، فالنُّطفةُ في اللغَةِ: الماءُ القَليلُ الصّافي، ويُعَبَّرُ بها عن ماءِ الرَّجُلِ لِقلَّتِه، أمّا المَنِيُّ فهو مَأْخوذٌ مِنَ المَنَى مُخفَّفًا، ومَعْناهُ: التَّقديرُ، وسُمّي المَنيُّ بذلكَ؛ لأنَّهُ قُدِّرَ بِهِ الحَيواناتُ بالعِزَّةِ الإلَهيَّةِ. كما يَتَّضِحُ الفرقُ بينهما: في أنَّ النُّطْفَةَ لم تَكُنْ نُطْفَةً إلّا بَعْدَ أنْ كانَتْ مَنيًّا، وأنَّ النُّطفَةَ مِنْ صِفَةِ المَنيِّ، لَكِنَّها تُسَمّى كَذَلِكَ إذا ما اسْتَقَرَّتْ في الرَّحِمِ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ [القيامة: 37]، ورُجوعًا إلى أصْلِ اللَّفْظَتَيْنِ فإنَّ المَنيَّ يَبْقى مَناطَ التَّقْديرِ، ولَم يَبْرَحْ مَكانَهُ مِنْ حَيْثُ عَدَمُ دُخولِهِ الخَلْقَ، أمّا النُّطْفَةُ: فهي داخِلَةٌ في الخَلْقِ بعد قَرارِها في الرَّحمِ، فهيَ مُهَيَّأةٌ للتَّخْليقِ، لذا كانَ ذِكْرُ أطْوارِ خَلْقِ الإنْسانِ بلَفْظِ (النُّطْفَةِ) دونَ (المَنيّ)، قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾[1].

الخَصيم والمُجادِل:

الجدال مِنْهُ ما هو ممدوحٌ، ومِنْهُ ما هو مَذْمومٌ، أما الخصام فمذموم فقط

يَتَّضِحُ الفَرْقُ بينَ لفْظِ (الخَصيم) ولفظ (المجادِل) في أصْلِ اشْتِقاقِ كُلِّ لفظٍ مِنْهُما، فالجِدالُ: المفاوضَةُ على سَبيلِ المنازَعَةِ والمغالَبَةِ، وأصْلُهُ مِنْ: جَدَلْتُ الحَبْلَ، أي: أحْكَمْتُ فَتْلَهُ، فكَأنَّ المُتجادِلَيْنِ يَفْتِلُ كُلُّ واحدٍ الآخَرَ عَنْ رَأْيِهِ، وقيلَ: الأصْلُ في الجِدال: الصِّراعُ وإسْقاطُ الإنْسانِ صاحِبَهُ على الجَدالَة، وهيَ الأرْضُ الصَّلْبَةُ[2].

أمّا الخِصامُ: فهو مَصْدَرُ خاصَمْتُهُ مُخاصَمَةً وخِصامًا، وهو المنازَعَةُ[3].

ويَظْهَرُ الفَرْقُ بينهما أيضًا في العُمومِ والخُصوصِ: فالجِدالُ

(1) الدّوريّ، دقائق الفروق اللّغويّة، ص: 100.
(2) الرّاغب، المفردات: (جدل).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خصم).

عامٌّ، مِنْهُ ما هو ممدوحٌ، ومِنْهُ ما هو مَذْمومٌ، فالمَمْدوحُ مَأْمورٌ بِهِ؛ لقولِهِ تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النّحل: 125] وأمّا التّخاصُمُ فلا يَكونُ إلّا مَذْمومًا، ولمْ يَرِدْ في القرْآنِ الكريمِ سِوى لِلدّلالَةِ عَلى الاخْتِلافِ المُفْضي إلى التّنازُعِ فقَطْ، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ [النّساء: 105]، فاتَّضَحَ بهَذا الفَرْقُ بَيْنَهُما.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والعشرون،
سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والعشرون، سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 26 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-23-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 26 : المجلد السادس والعشرون، سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-23-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9758876 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»